أنا ابن آدم

مؤلف الكتاب

زاهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

.. إهداء ..

إلى ابن آدم الذي

﴿ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾

و

إلى أبناء آدم

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

و

إلى أبناء آدم

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾

الباب الاول

.. الموت ..

الموت أكبر لغز وتحدي عانى منه الإنسان منذ خلقه فلا استطاع أن يوقفه ولا استطاع أن يكشف خفاياه فما هو الموت ولماذا يطارد الجميع دون أي استثناء؟ الصغير يموت والكبير كذلك والفقير والغني والضعيف والقوي جميع هؤلاء يعيشون تحت رحمة هذا الكيان الخفي!

فما حقيقة الموت؟ من المستثنى من الموت؟ من الذي لا يموت؟

المستثنى من الموت هو أنا،

أنا وحدي فقط،

أنا غير عن سائر البشر والمخلوقات،

أنا الحي الذي لا يموت،

الجميع ميت ومختفي إلا أنا باقٍ إلى الأبد...

هذا النوع من العبارات نلقيه على أنفسنا من حين لآخر إما بأقوالنا أو أفعالنا أو بطريقة ما تجعلنا متجاهلين أي حالة وفاة نسمع أو نقرأ عنها، كل إنسان منا يعيش وكأنه خالداً في هذه الدنيا لا أحد يعلو فوقه كل من حوله يراهم عبيد وخدم يعملون لمصلحته، فلو اطلعنا على حياة هذا الإنسان لوجدناه :

يتصرف وكأنه اله!

ينفق وكأنه اله!

يعلو ويتكبر على غيره وكأنه اله!

وكأن هذا المخلوق نسي حقيقته ونسي غايته وبدأ يقتنع بأنه هو من خلق ومنح الحياة لنفسه!!

من الذي يموت إذاً؟

من الذي يموت إذا كل منا كان يفكر بهذه الطريقة؟

غريب!!

والأغرب من ذلك هو وجود أكثر من ١٠٠ حالة وفاة ترصد في كل دقيقة حول العالم! أكثر من ١٠٠ جسد تحول الآن إلى جثة هامدة فقط خلال هذه اللحظات التي قُرأت فيها هذه الجُمل والسطور، ولا يزال كل شخص منا يعيش في حالة نكران تائه في عالم ألوهيته الخاص!

ولو أننا ذهبنا لفحص هذه الجثث التي تموت لوجدناها دماً ولحماً مثلنا تماما لا فرق بيننا وبينهم عدا أن الحياة ما زالت تتدفق فينا اما هم فقط أصبحو جثثاً صامتة غير قادرة على الكلام أو الحركة!

من كان يحرك هذه الأجساد المستضعفة سابقا؟ أهي الروح؟

إذا كانت الروح فأين هي الآن؟

متى سوف ترجع إلى صاحبها لتوقظه وتجعله حياً مرة أخرى؟

أم أنها حقا النهاية وأن الميت اختفى من هذا العالم ولن يعود؟

عشت حياتي بأكملها بعيدا عن هذه الأسئلة الغامضة لأني كنت أعلم ومتيقن بأني خالدا في هذه الدنيا وإني حالة استثنائية غير عن الجميع حتى ولو شاهدت آلاف الجثث تتساقط وتقع حولي سأبقى اردد أنا حر! أنا دائم! ولن يصيبني ما اصابهم وهذه الحقيقة لن تتغير مهما حدث في هذا الكون.

الحياة هي الحقيقة بالنسبة لي .. والموت هو الحلم الذي لن يتحقق

في يوم ٢٠٢٢/٢٢/٠٩ الموافق ١٤٤٤/٠٢/٢٦

استيقظت وبدأت صباحي في ممارسة أنشطتي المعتادة والمتكررة، يوم عادي جدا كغيره من الأيام في الساعة الخامسة مساء أتلقى اتصالا من أخي الأكبر حتى الاتصال كان متوقعا؛ لطالما اعتاد أخي الاتصال بي في هذه الأوقات بعد انصرافه من العمل.

ارفع هاتفي للرد على مكالمته قائلا «أهلا»

فجأة أسمع أخي يبكي بصوت مرتفع!

هنا بدأت أشعر بالخوف والقلق حيال ذلك!

حاولت التحدث معه مجددا «اهلا؟» ولكن لا يوجد أي رد سوى البكاء، استمر البكاء لمدة دقيقة كاملة ولكنها بدت أطول من ذلك بكثير...

بدأت أهون وأخدع نفسي بقول بأن كل شيء على ما يرام وأن بكائه علامة على يوم سيئ له في العمل أو ماشابه، بالرغم أني كنت أعلم بأن مصيبة ما تنتظرني ولكن استمريت بقول :

كل شيء على مايرام..

كل شيء على مايرام..

استمريت في إعادة قول هذه الجملة حتى بدأ أخي بالحديث قائلا :

«زاهر، زاهر أبوك توفى»

في هذه اللحظة تسارعت دقات قلبي وارتفع ضغط الدم لدي، بدأ جسمي يتعرق ويبرد فجأة، بدأت اشعر بأن جميع وظائف الدماغ توقفت وكأن الذي مات هو انا!

بدأ الصمت والظلام يحتوي على المكان الذي كنت جالسا فيه
وفجأة!! تحولت الحياة إلى حلم وأصبح الموت حقيقة!

حاولت جاهدا استيعاب ما حدث والبدء في السيطرة على نفسي واستعادة حياتي السابقة وتجاوز هذه المصيبة التي سمعتها بأسرع وقت ممكن ولكن الظلام بدأ يتزايد من حولي شيئا فشيئا وبدأ ينتابني الخوف والقلق مجددا، وبدأ التفكير يقتلني واستمرت هذه المشاعر السوداوية لدقائق وساعات ثم لأيام وشهور ولا تزال مستمرة حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها..

ها هو الموت الذي اعتدت على مشاهدته في الأخبار قد قام بزيارتي!

طرق باب بيتي ودخل منه دون إذني!

خطف فرد من أفراد عائلتي دون علمي!

وجعل كياني فاني وهالك مثل غيري!

كيف حدث هذا الأمر؟ ولماذا؟

دماغي بدأ ينزف من الأسئلة وجثة أبي لم يتبقى عليها إلا سويعات معدودة حتى تدفن وأنا جالسا وحدي مغتربا في بلدا آخر بعيدا عنها فلم أرى الجثة ولم أحضر أي مراسم دفن ولعل هذا الأمر كان كله إيجابيا إلى حد ما لأني ما زلت متأملا بأن يكون الأمر برمته حلم عابر سوف ينتهي في أي لحظة.

بدأت أشعر بعد ذلك بأن الحياة توقفت وأن الزمن توقف معها ايضا ولكن تبين لي لاحقا بأن الزمن فقط توقف لدي ولدى عائلتي أما العالم الخارجي فلم يتأثر بهذا الخبر إطلاقا!!

فالحياة استمرت ببهجتها وحزنها واستمر العالم في خيره وشره، واستمرت حالات القتل والسرقة وغيرها من الجرائم، وكل شيء كان يتحرك كالمعتاد! وكأن الناس والحياة نفسها لا تأبه لموت فرد من افرادها!!

حتى أنا أحد أبناء الميت الذي ظننت بأن الحياة انتهت وتوقفت عدت إليها مجددا بعد عدة شهور، وعادت معها أفكار الخلود والتخدير وجميع الاوهام التي كنت منغمس إليها سابقا، ولكن مفعول هذه الأفكار بات ضعيفا جدا فلم أكن منتشي ومتعطش للحياة كما كنت في السابق، هذه المرة شعرت وكأني بدأت استيقظ من سكرتي واواهمي وأردت أن أعلم ما سر ولغز هذا الخلود الذي في داخلنا .. هل هو حقيقي؟

هل الإنسان حقا كيان دائم لا يموت؟

أم أن أفكار الخلود ليست إلا أوهام مستمر الإنسان في تخدير نفسه فيها؟

الخلود حقيقة مطلقة موجودة بداخلنا لا يمكن إنكارها والسبب ورائها يعود إلى أرواحنا الأزلية التي منحت لنا، فالله سبحانه وتعالى عندما خلقنا نفخ فينا من روحه هذه الروح هي السر الخفي وراء الحياة فهي التي جعلت هذا الجسد يعمل بكامل قوته وقدرته فجعلته يصنع ويخترع ويفكر وبدونها الإنسان لا شيء، لا شيء إطلاقا مجرد خلايا وأعضاء لا تعمل!

والروح هي أحد النعم الكثيرة التي أنعم الله علينا ولكن هي أيضا من الابتلاءات التي ابتلانا بها فالروح كيان خالد أزلي لا يعرف الموت ليس له بداية أو نهاية وضع في جسد ضعيف هش يمرض ويموت كانت له بداية وسوف تكون له نهاية، وكأن الله وضع هذه الأرواح داخل أجسادنا الترابية حتى يمتحنها، فإن نجحت هذه الروح ونجح صاحبها في الامتحان نال روحه وفاز بالجنة الخالدة، وإن فشل فسيخسر روحه ويحشر في النار بسبب تعلقه بالدنيا الفانية.

فمن هنا تبدأ الصراعات الحقيقية ويبدأ الإنسان بخوض أعظم صراع وحرب في حياته لأجل الفوز بروحه الخالدة، فهذه هي الغاية من الدنيا؛ ولهذا هبطنا فيها فكل شخص لم يبدأ في خوض هذه الحرب بعد فهو ليس بكائن حي بل هو كائن ميت لا حياة له..

هذه الحرب انتهت لأولئك الذين فارقوا الحياة أما الأحياء منهم فالحرب مستمرة قائمة لديهم وصعوبتها تشتد يوما بعد يوم ولا يزال الجميع في غفلة.

فمنهم من يعلم بأهمية هذه الحرب ولكنه منشغل عنها..

ومنهم من يخوض هذه الحرب مرة ويتركها مرة..

ومنهم من أصبح يخوض حروبا مختلفة كليا..

فمنهم من أصبح يحارب من أجل المال، ومنهم من يحارب من أجل الشهرة ومنهم من يحارب من أجل الجنس وغيرها من الرغبات الاخرى، والغريب في الأمر أن معظم هؤلاء الذين خاضوا حروب مختلفة وكانو قادة فيها تحولت حروبهم فيما بعد إلى نوع من أنواع العبودية! فأصبحوا عبيداً للمال وعبيداً للجنس وعبيداً لرغباتهم الدنيوية!

وهذه هي حقيقة الإنسان الاخرى..

بأنه عبد في الفطرة ولا حول ولا قوة له في تغيير ذلك مهما فعل، فإذا لم يعبد الله عبد نفسه، وإذا شعر بالملل من عبادة نفسه اتجه إلى عبادة وتقديس أمور أخرى مثل المال وإذا وصل للمال سيحاول عبادة إله جديد فيتوجه إلى الجنس وإذا وصل للجنس وظفر منه توجه للشراب والمواد المخدرة حتى تخفف عنه جميع الكوارث والمصائب التي حدثت معه في عباداته السابقة!!

وإذا وصل للنشوة المطلوبة عادا إلى عبادة نفسه مرة اخرى ويستمر في الطواف حول هذه الدائرة حتى ينتهي به المطاف منتحرا تاركا هذه الحياة!

فيجب على الإنسان أن يعلم بأن روحه وجسده منحت له لمرة واحدة فقط ولغاية وهدف عظيم وأنه مسؤول ومحاسب عليهما .. فالنعيم الدنيوي والملذات اللحظية التي أمام أعيننا هي ليست سوى وهم عابر ومتاع مؤقت هدفها فقط اختبار هذه الأرواح والأنفس التي في داخلنا وان الركض خلفها ليس إلا بعد عن الهدف والغاية الحقيقية.

ولهذا أراد الله أن يختبرنا ويمتحننا أولا حتى يظهر الخير والشر الذي يكمن في داخلنا، ولو أن الله خلقنا وأدخلنا فسيح جناته مباشرة وأبقانا فيها دون أي عمل مسبق لكن في ذلك ظلم لمخلوقاته الاخرى وظلم للإنسان نفسه تحديدا (تعالى الله عن ذلك فالله يفعل ما يريد ولا يسأل عما يفعل ولا يظلم أحدا)

والله لا يحتاج إلى هذا الامتحان حتى يستطيع التفرقة بيننا (تعالى الله عن ذلك) ولكن أنشأه حتى يصبح كل شخص منا مسؤولا عن نفسه وعن أفعاله.

فإذا دخل الإنسان النار كانت أفعاله شاهدة وعلم من أين أتى غضب الله عليه، وأما إذا دخل الجنة رأى وعلم ماذا فعل حتى يستحق هذه الرحمة العظيمة.

فمجددا الموت هو كلمة السر التي يحتاج إليها الإنسان حتى تبقيه على طريق الحق والهدف الصحيح ، الحياة هي الداء وذكر الموت هو دواؤها.

فبذكر الموت تصل الرحم وتكرم اليتيم وتطعم المسكين وبذكره تقضي على الكبر والحسد والهم والغم وجميع مشاكلك الدنيوية .. حياتك الحقيقية لن تبدأ إلا عندما تقتنع بأنك ميت ومفارقا لهذه الحياة مع ضرورة استشعار هذا الامر.

ذكر الموت لن يجعلنا مستائين ومكتئبين، إنما تعلقنا بالحياة هو من يصلنا لهذه الحالة فكم من شخصا تعلق بالحياة الدنيا وزينتها ثم انتحر بعد ذلك وأعدادهم تزداد يوما بعد يوم .

وليس الأمر محصورا على ذكره بل إن الموت بحد ذاته ليس بالشيء المرعب والمخيف كما يعتقد البعض .. مصدر الرعب والخوف هو فقط ناتجا بسبب عدم وضوح ما ينتظر الإنسان بعد مماته ومن عدم قدرته على التنبؤ بمشاعره في تلك اللحظة الغامضة التي سوف ينتقل اليها.

فعلى سبيل المثال، لو ذهبنا وأتينا بإنسان لم ينم قط ولم يجرب النوم أبدا ولا حتى دقيقة واحدة طوال فترة حياته ومن ثم أخبرناه الكلمات التالية :

«أنه عند الساعة التاسعة مساءً ستجتاحك حالة شديدة من النعاس للمرة الأولى في حياتك، ستشهد حينها انغلاق تدريجياً لعينيك مصاحبها فقدان سيطرتك على جسدك وحواسك ، ثم بعد ذلك سوف تفقد وعيك بالكامل سيعقبه انفصال تام عن عالمك الحالي ودخولك لعالم مختلف كليا يسمى عالم الاحلام في هذا العالم الجديد إما أن تشاهد فيه كوابيس مروعة تدفعك للاستيقاظ منها أو أحلام سعيدة تجعلك تتمنى ألا تعود إلى واقعك الحقيقي مرة أخرى.»

هذا الوصف وهذه العبارات البسيطة والمتعارف عليها عند الجميع إذا سمعها الإنسان الذي لم ينم من قبل والذي ستطبق عليه هذه التجربة سوف يصاب بالذعر والخوف الشديد من هذه الحالة التي سيتعرض لها في ليلته في حين أن كل ما سوف يفعله هو «النوم» الذي يعد أمر عاديا ومصدرا للراحة عند الجميع!

ولكن لأن هذا الإنسان لم ينم من قبل فأصيب بالقلق والخوف عند سماعه لهذه التجربة التي سوف يتعرض لها .. وهذا الأمر ينطبق أيضا مع خوف الإنسان من الموت.

إن في الحقيقة سر وغموض هذا العالم الخفي حول الموت هو الذي دفع الانسان لتجاهله والعمل من اجله .. حتى الإنسان الذي استطاع الصعود إلى الفضاء الخارجي عجز على معرفة ما يحدث تحت أقدامه كل الجهود التي بذلها الإنسان للكشف عن حقيقة الموت قد باءت بالفشل، وعندها تسرع بالحكم تاركا خلفه كل الآيات السماوية قائلا بأنه لا حياة بعد الموت وأن كل إنسان سوف يرجع إلى حالة السكون والعدم التي كان عليها قبل أن يخلق، وهذا الأمر غير منطقي إطلاقا!!

لأن حالة العدم والسكون التي يتحدث عنها كانت بسبب عدم اتصال الروح بالجسد بعد، ولكن عندما حدث هذا الاتصال بدأت بعدها رحلة طويلة امتدت لسنوات وسنوات صاحبتها ذكريات ولحظات مر بها الإنسان وشعر بها بمفرده!

مر بلحظات فرح .. وحب .. وحزن .. وندم .. وظلم .. وقهر .. وفقدان وغيرها من اللحظات الخالدة.

فمن الاستحالة هذا الكيان الجديد (الإنسان) ينفصل ويذهب للعدم مرة اخرى بعد كل هذه اللحظات التي عاشها والا اذا مافائدة هذا الاتصال المتقن الذي حدث؟ هل حدث ليفجر الانسان ويقتل ويظلم ثم يرجع للعدم مرة اخرى؟ ومافائدة اتصال الاشخاص الذين قتلو على يده اصلا؟

هذا الاتصال لم يحدث إلا لبدأ سلسلة الأعمال التي سوف يحاسب عليها الانسان ويكون مسؤولا عنها .. وهذه ليست بأساطير ولا بأكاذيب بل هي حقائق كشفها خالق الكون لنا ومن خلالها يتحدد مصير الإنسان بناءا على تصديقه أو تكذيبه لهذه الحقائق.

ومع ذلك دائما يكون اتباع الظن أسهل بكثير من معرفة الحق وتصديقه فطرح فرضيات مثل «ماذا لو لم يوجد حياة بعد الموت» هو أسهل بكثير من البحث عن الحقيقة والإيمان بها.

ولكن .. «ماذا لو ايضا»

ماذا لو كان الموت هو بداية الحياة؟ ماذا لو كانت حياتنا بأكملها وهم وحلم سوف نستيقظ منه عند موتنا؟ ماذا لو كان الاستيقاظ الحقيقي للحياة هو بعد الموت؟

فها هو الإنسان عندما ينام في كل ليلة يرى عدة أحلام، يرى بأنه يغزو العالم ويرى بأنه يسبح البحار ويغوص في اعماقها وتراه في بعض الأحيان يصادف الاموات ويتحدث معهم حول الماضي والمستقبل وحينما يستيقظ ويفتح عينيه يكتشف بعدها بأنه داخل غرفته وأن كل الاحداث التي شاهدها كانت مجرد حلم!!

ماذا لو كان الموت كذلك ولكن هذه المرة يستيقظ الإنسان وهو داخل حفرة من حفر القبر ويكتشف بعدها أن كل ما دار في الدنيا كان وكأنه وهم، وكأنها ساعة من النهار أو بضعة دقائق تعادل حلم من الأحلام التي اعتاد على رؤيتها عندما كان حيا؟!

أسئلة تستحق التأمل والتفكير..

فكما أتى الإنسان من عدم وغيب إلى هذه الحياة بشكل غامض كذلك سوف يذهب إلى عدم وغيب جديد عند موته وهذا العدم والغيب الجديد لا بد من أن يكون حياة جديدة أخرى.

.. انتهى ..

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[الجمعة: ٨]

اللّٰهُمَّ اِغْفِرْ لِأَبِي وَاِرْحَمْهُ هُوَ
وَسائِرُ أَمْواتِ المُسْلِمِينَ

الباب الثاني

.. شبهات ..

جميع الأديان السماوية كانت تؤمن بأن حياة الإنسان بدأت عند خلق آدم وحواء، صحيح بعض الأديان والمناهج المحرفة كانت تختلف مع هذا المعتقد ولا تؤمن به ولكن كانت على الأقل تؤمن بوجود قوى إلهية تقف وراء وجود هذا الكون بمعنى معظم البشر كانو يؤمنون بوجود إله وخالق عظيم لهذا العالم .. حتى أتى بعد ذلك منهج وديانة جديدة (الإلحاد) أنكرت كل هذه المعتقدات والمفاهيم وأنكرت معها الخالق أيضا. وهذا الإنكار لم يأت بسبب حقائق مؤكدة وأدلة مثبتة بل أتى استنادًا لبعض النظريات والفرضيات والتوقعات والآراء البشرية المختلفة.

وذلك لم يحدث إلا بعد أن وصل الإنسان إلى أقصى درجات التقدم العلمي والتطور في عصره كما بدأ يدعي، فبدأ يؤمن بأن العلم هو وحده القادر على تقديم تفسيرات وأدلة حقيقية لهذا الكون بإمكانه من خلالها معرفة حقيقته وسبب وجوده في هذه الحياة، فمن وجهة نظره بدأ يرى بأن الأدلة المُقدمة من خلال الأديان ناقصة وغير كافية ومعظمها تتناول أمور غيبية تتعلق بأحداث من الماضي وأمور سوف تحدث في المستقبل.

فهو يرى أن الأمور الغيبية ليست لها أي قيمة علمية وبناءً على هذا الاعتقاد، إذا لم تكن الأدلة المطروحة ملموسة وقابلة للتجربة فإنها لن تكون دليلًا مقنعًا في نظر الإنسان الملحد.

ومن هذا المفهوم بدأت تخرج حينها العديد من الدراسات والنظريات لهدف الوصول إلى الحقيقة المطلقة لهذه الحياة ولهذا الوجود..

بدأ يظهر للعالم نظريات وفرضيات مختلفة وبطريقة غامضة كانت تتحول هذه الفرضيات بسرعة إلى حقائق مثبتة في عقل الإنسان الملحد وبدأ يؤمن بها إيمانا يقينيا دون أدنى شك أو تردد!!

فمثلا، اكتشف أنه يعيش في عالم عشوائي وحياة لا معنى لها على الاطلاق وأن هذا العالم المصنوع بدقة قد خرج إلى هذه الحياة عن طريق الصدفة.

ولو سألته:

لو كانت الحياة بالفعل خرجت عن طريق الصدفة فكيف يمكن تفسير دقة تكوين هذا العالم؟

سوف يجيب:

لا يمكنني الجزم حول دقة تكوين عالمنا في الوقت الحالي لأنه من المحتمل ومن الممكن ايضا أن يكون هنالك اكوان وعوالم اكثر دقة وانضباطا من عالمنا هذا او قد يكون التطور الطبيعي الذي وقع منذ ملايين وملاين السنين هو المسبب الرئيسي في تقدم وتطور دقة هذا الكون!

«رد غيرعلمي مبني على امال وتوقعات وبالتالي اكتشافه هذا لايزال امر غيبي»

اكتشف بعد ذلك بأن الطبيعة هي التي أوجدت كل شيء وبطريقة ما أقر بأنها المسبب الأول والحقيقي لهذه الحياة.

ولو سألته مجددا:

ما هي الأدلة التي تثبت أن الطبيعة هي التي خلقت كل شيء؟

سوف يجيب:

لا يوجد أي أدلة قطعية ونهائية حول هذا السؤال لأن الطبيعة في نهاية الأمر تحتوي على مجموعة كبيرة ومعقدة جدا من العمليات والظروف التي يصعب فهمها بالكامل.

«رد غير علمي وناقص مبني على امال وتوقعات ايضا وبذلك اكتشافه هذا لايزال امر غيبي»

اكتشف بعد ذلك بأن أصله الحقيقي حيوان وأن هنالك جد وسلف مشترك بينه وبين القردة!

ولو سألته مرة اخرى:

أين هو السلف المشترك الذي يثبت أن للقردة والإنسان جد واحد؟

سوف يجيب:

لا يمكن الوصول له لأنه ببساطة نحن نتحدث عن كائنات عاشت قبل ملايين وملايين السنين، فمن الصعب العثور عليها.

«ما زالت إجاباته مبنية على آمال وتوقعات قد تحدث في المستقبل وبذلك حتى اكتشافه هذا لا يزال غيبي»

استمرت هذه الفرضيات والنظريات والاكتشافات الغيبية حتى اصبح الالحاد منهج غيبي اكثر من الاديان السماوية!!

إن الإنسان بطبيعته الغريزية دائما يبحث عن الشيء الذي يحقق مصالحه ورغباته الدنيوية أولا قبل كل شي حتى ولو اضطر الكذب على نفسه، فبدلا من دين يأمره بأفعال ويضع حدودا عليه ويعامله معاملة مخلوق، يريد دين لا يحرم له اشياء بل يحلل له كل الاشياء ويجعله خالقا مستقلاً .. دين لا يقيم حدود على غرائزه وشهواته بل هو حر يفعل كل ما يحلو في خاطره!

وهذا ليس بالأمر الجديد، بل إن كل السابقين الذين كفروا برسالات الله كان ردة فعلهم مماثلة فعلى سبيل المثال، كفار قريش كانوا يعلمون حق اليقين أن الإسلام حق وأن محمد صلى الله عليه وسلم حق ورسولا من عند الله ولكن بسبب رغباتهم الدنيوية وبسبب كبريائهم استمروا على كفرهم فمنهم من كان خائفاً على فقدان تجارته ومنهم من كان خائفاً على سمعته ومنهم من كان خائفاً على علاقاته مع الآخرين وغيرها من المصالح والرغبات الدنيوية التي خشو أن يفقدوها عند دخولهم لهذا الدين.

فإذا كان يوجد أشخاص استطاعو تضليل أنفسهم والكذب عليها في زمن المعجزات والرسل، فمن البديهي جدا أن الكافر في هذا الزمان سيجد تبريراً لكفره دون أدنى جهد أو عناء!

بلا ادنى شك هؤلاء الناس الذين كفرو في السابق كان بسبب كلمة واحدة كانت تدور حول عقلهم وهي «دنيا» فهذه الدنيا لم تكن بالنسبة لهم دار اختبار وابتلاء بل كانت دار ملاذ واستقرار .. كانو في سكرة وماتو وهم في سكرة والتاريخ مستمر في إعادة هذه الأحداث وإعادة هؤلاء الأشخاص مرة أخرى في كل زمن وفي كل حضارة ولكن بكفر جديد!! الإنسان متطور بكفره ولعل هذا التطور الوحيد الذي استطعنا رصده في الإنسان حتى الآن.

فالإنسان في السابق كفر بالله وبدأ يعبد الأوثان المصنوعة من الحجر والخشب ثم انتهى المطاف به عابدا للكواكب التي فوقه ثم بعد ذلك انتقل إلى عبادة طائفة من البشر، إلى أن وصل الحال فيه أن عاد إلى عبادة الاوثان ولكن هذه المرة عبد أكبر أوثان هذا العالم وهي الطبيعة!

كما ذكر «الدكتور هيثم طلعت» أن الطبيعة هي أكبر وثن اتخذه الإنسان من دون الله!!

فوصل الملحد لمرحلة ينسب كل ما يجري في هذا العالم للطبيعية والكون فالطبيعة هي التي خلقت وهي التي أنشأت وهي التي بدأت والملحد لا يتجرأ أبدا أن يستبدل كلمة طبيعة بخالق فيقول الخالق الذي خلق وهو الذي انشأ لأنه يعلم أن هذا الخالق سوف يكلفه بتكاليف يقوم بها والملحد يرى أنه في غنى عن هذه التكاليف وأنه في غنى عن الآخرة أيضا.

فالملحد مشكلته الحقيقية ليست دينية ولا كونية ولا علاقة لها بأية من هذه الامور، مشكلته الأساسية هي التمسك الشديد لهذه الدنيا التي يحيي فيها حتى ولو لم يكن مدركا لذلك لأنه من الاستحالة للإنسان أن ينكر وجود الله الذي خلقه واوجده، هو بالتأكيد يستطيع تجاهل حقيقته ولكن لا يمكنه إنكار وجوده.

وهذا الأمر دائما يحدث مع غالبية الكفار بأنهم لا يعترفوا بوجود الله إلا في آخر لحظات حياتهم، مثل فرعون أكبر طاغية وكافر في هذا العالم الذي أصر أنه رب وإله هذا الكون وأصر على كفره وعصيانه ولكن عندما أتاه الموت عند الغرق وبدأ يشاهد حياته ودنياه تنتهي وبدأ ينطفئ نورها حاول التحدث وأول جملة خرجت من فمه هي :

« آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيل وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

فمجددا لو أن مشكلة الملحد الحقيقية دينية أو كونية لوجد حلا لها فورا ، مهما كانت حجم المشاكل التي يواجهها الملحد سوف يجد حلا لها في نهاية المطاف، فهو الذي دائما يدعي بأنه الإنسان المفكر وأنه الإنسان العلمي في هذه الحياة في حين أن تفكيره هذا لم يخرج لنا إلا شبهات متكررة!

والأمر الآخر هو أصبح يعتقد أنه بشبهاته هذه انتصر على الاسلام وانتصر على الحق دون أن يعلم أن جميع شبهاته قد أجاب عنها الإسلام قبل ١٤٠٠ سنة على لسان رسول ونبي العالمين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

فما هي اشهر هذه الشبهات؟

ماهي الأدلة التي تثبت وجود خالق لهذه الحياة؟

جميع الادلة التي تثبت وجود الخالق (الله) لهذه الحياة هي موجودة امامنا ونراها بإستمرار فالأدلة التي شاهدها الملحد وكفر بها هي نفسها التي جعلت المؤمن يسلم وجهه للخالق سبحانه وتعالى .. فالأدلة كثيرة جدا ولا يمكن كتابتها كتابة هذه الأدلة هي بمثابة كتابة كل شيء يدور في هذه الحياة من صغيره لكبيره وهو أمر من الاستحالة فعله!! الله منح الإنسان عقلا ليكون قادرًا على فهم وإدراك هذه الأدلة من خلال رؤيته لدقة وجمالية وتفاصيل وإبداع هذا الكون وكل ما يحتويه، فبمجرد ما يتفكر الانسان ويتدبر في نفسه وفي هذا الكون سوف يصل إلى درجة يقينية تجعله يؤمن بوجود خالق عظيم لهذا العالم يجب اتباع تعاليمه وأوامره.

على سبيل المثال إذا زار شخص معرضًا فنيًا وشاهد أمامه لوحة فنية جميلة متقنة ومليئة بالتفاصيل الدقيقة هذا الزائر سوف يلفت نظره مباشرة تلك اللوحة وسوف يقر ويؤمن مباشرة أنه يوجد صانع ورسام عظيم رسم هذه اللوحة .. هو أقر وآمن بذلك دون أن يرى صاحب اللوحة .. دون أن يعلم اسمه أو عمره أو حتى مكان ورشة عمله. اكتفى بمشاهدة اللوحة فقط ومن خلالها استطاع أن يرى تأثير هذا الرسام واستطاع أن يرى فنه ولمساته وإبداعه دون الحاجة إلى مقابلته شخصيا، ولله المثل الأعلى.

وكذلك هذا العالم هو لوحة فنية عظيمة ومتقنة يعيش على سطحها الإنسان، والإنسان ليس فقط جزءًا من هذه اللوحة، بل هو لوحة أخرى منفصلة متقنة مليئة بالتفاصيل الإعجازية التي يصعب ذكرها بالكامل أيضا. فمثلا لو أردنا أن نتناول لوحة الإنسان فمن عند أي زاوية من هذه اللوحة يجب أن نبدأ؟

هل نبدأ الحديث عن أجهزته المعقدة والمتقنة مثل الجهاز الهضمي والعصبي والبولي؟! ولا عن أحشائه التي ولد بها وبطريقة ما كانت مرتبة داخله ترتيبا دقيقا؟! ولا عن وظائف جسمه المبرمجة التي تشتغل من تلقاء نفسها؟! ولا عن قلبه الذي مستمر في ضخ الدم لخلاياه واعضائه بشكل مستمر ولا يتوقف؟

ولا عن الدماغ البشري الذي لا يزال يدرس ويختبر إلى الآن ولا يزال العلماء ينبهرون منه في كل مرة يكتشفون شيئاً جديداً حوله؟

كيف كل هذه الأمور من الممكن أن تحدث فجأة دون وجود خالق عظيم لها!

كيف من الممكن أن تكون حياة الإنسان عبيثة لا يملك فيها أي غاية أو هدف في حين أن أعضاءه لها هدف وهي عملها المستمر دون توقف؟

لهذا في دين الإسلام يسقط التكليف على المجنون أو على من ذهب عقله لأنه هؤلاء الأشخاص لا يستطيعون فهم وإدراك تأثير الله في هذا العالم.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم: ٨]

لماذا يوجد إله واحد فقط في هذا العالم؟ لماذا لا يوجد هناك اكثر من إله يحكم هذا الكون؟

هذه التساؤلات واضحة جدا أنها أتت من أشخاص لم يفهموا بعد مصطلح الإله ومعناه الصحيح، فكيف يحكم عالمنا إله يدعي بأنه قوي وعزيز ومهيمن وجبار ثم بعد ذلك يتشارك فيه حكمه آلهة أخرى؟ هذا دليل على أن هذا الإله مفتقر لذاته ولا يستطيع إدارة شؤون خلقه إلا بمساعدة آلهة أخرى! (تعالى الله عن هذا الكلام)

فكرة تعدد الآلهة بحد ذاتها مخالفة للعقل والمنطق!!

ما هي الحاجة أصلا لوجود أكثر من إله يحكم هذا العالم؟

اذا كان هنالك الهين لهذا الكون فمن من المفترض الإنسان أن يعبد؟ هل يعبد الاثنين ويضاعف صلواته وعبادته اليومية؟ ولا سوف يختار واحدا منهما؟

وعلى أي أساس أصلا سوف يختار؟!

هل واحد منهما اقوى من الاخر؟ كيف يكون هنالك إله قوي وإله ضعيف ؟

هل واحد منهما أغنى من الاخر؟ كيف يكون هنالك إله غني وإله فقير؟

ولو كان بالفعل يوجد أكثر من إله لهذا العالم فكيف يمكن لهم أن يتفقو على إدارة هذا الكون دون أي خلافات أو مشاكل والتي قد تشكل تهديدا لحياتنا وعالمنا الذي نعيش فيه؟

إله هذا الكون يجب أن يكون واحدا أحد متعالياً عن هذه الأمور بأكملها يملك جميع الأسماء الحسنى والصفات العظمى وينفرد بها لذاته..

وهذا الوصف ينطبق تماما على الخالق الوحيد لهذه الحياة وهو الله سبحانه وتعالى ويكفي معرفة أسماءه وصفاته لإثبات ربوبيته والهويته فهو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء.

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾
[المؤمنون: ٩١]

إذا كان الخالق هو الله فلماذا خلقنا؟ هل هو بحاجة لنا؟

هذا اكثر سؤال يتكرر في ذهن الملحد وغير الملحد ايضا..

والإنسان بأسئلته هذه مجددا لا يزال يجهل معنى مصطلح الاله .. فلو أن الإنسان بحث فقط عن أسماء الله الحسنى وصفاته وبدأ يفهم معانيها لما سأل هذا السؤال فهو لا يزال يعامل الله معاملة مخلوق لا خالق بأسئلته، فيسأله لماذا خلقتنا ثم ينتظر بعد ذلك إجابة تجعله يعلم ما هي حاجة الله لنا؟!

أولا كيف يحتاج إلينا الله وهو الذي خلقنا؟ ما هي الصفة التي من الممكن أن تكون موجودة عند المخلوق ولا توجد عند الخالق حتى يحتاجها مننا؟ كيف يكون للخالق حاجة من مخلوق ضعيف هو صنعه وأوجده؟

الله خلق الإنسان رحمة فيه لا حاجة إليه ثم أعطاه بعد ذلك فرصة ليكون أحد مخلوقاته وفرصة أخرى ليكون أعظم مخلوقاته.

هذه الفرصة أتت لمخلوق كان في العدم..

أتت لمخلوق كان لا وجود له..

أتت لمخلوق كان لا شيء إطلاقا..

الوجود هو من أعظم النعم التي أتت على الإنسان وهذه النعمة تكفي وحدها لجعله ممتنًا وشاكرًا لربه.

بل إن من شدة حب الإنسان للوجود الذي هو عليه أصبح يخشى الموت ويخشى انتهاء فترة وجوده وأصبح يريد العيش في أفضل طريقة ممكنة في هذه الحياة!!

حتى المنتحر الذي قضى على وجوده هو في الحقيقة لم ينتحر إلا بسبب خوفه من فقدان الوجود الذي هو عليه أو بسبب سوء الوجود الذي كان يعيش فيه.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات ٥٦-٥٧]

الإنسان بحاجة شديدة لهذه العبادة حتى يتعرف على خالقه ويتقرب منه ويبدأ يرجو منه رحمته ورضاه من أجل أن تتحقق رغبته وهي الوجود في أفضل مكان وفي أفضل صورة وذلك لن يحدث إلا في مكان واحد فقط وهو النعيم الأبدي (الجنة).

كيف يمكن أن يكون يوم البعث أمرًا منطقياً؟ كيف يبعث كل من عاش على هذه الأرض مليارات ومليارات من الناس جميعهم في يوم واحد؟

في الحقيقة يوم البعث بالفعل أمر صعب ومن الاستحالة حدوثه إذا كان موكلاً لفعله إنساناً عادياً، أما إذا الذي سوف يحدثه خالق واله هذا الكون فالأمر سوف يصبح يسيرا ومحسوماً بالتأكيد..

فمجددا إذا الإله استحال عليه فعل أي شيء أو صعب عليه أي امر فلن يعد إلها أو خالقا! والغريب في الأمر أن الإنسان يتساءل ويشك حول بعثه مرة أخرى بعد الموت، ولم يتساءل أو يفكر للحظة حول نشأته وخروجه لهذه الحياة!!

فخروج الإنسان لهذه الحياة وخروج هذا العالم بحد ذاته أمر خارق للطبيعة ومن الاستحالة كان حدوثه اصلا، ولكن من أحدث هذه الظاهرة الخارقة هو أيضا قادر على فعل ظواهر خارقة اخرى .. فكيف يبدأ الله هذا الخلق العظيم بدقته وجماله ثم يعجز على إعادته؟!

بل إن من صور إبداع الله ودقته في الخلق والتي تستطيع الرد على هذه الشبهة هي بصمة الإنسان (البنان)

فالإنسان يملك بصمة من الاستحالة أن تتطابق تطابق تام مع أي إنسان آخر في هذا العالم حتى ولو كان والده، والذي استطاع خلق هذا الأمر هو أيضا قادر على جمع هذه البصمات المميزة والمحفوظة وإعادة إحيائها مرة أخرى.

بل إن خلق هذه البصمات المميزة والاستثنائية لكل إنسان في هذه الحياة يبدو لوهلة أمرا أصعب بكثير حتى من إحيائها!! ولكن هذا هو الله خالق كل شيء، ما يبدو صعبًا ومستحيلا في نظر البشر يكون سهلا ويسيرا عليه فهو ليس كمثله شيء.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾ [القيامة ٣-٤]

وغيرها من الشبهات التي مستمر الملحد في البحث عنها

ولو أن بعض الملحدين كانو يبحثون عن حقيقة هذه الحياة بالفعل كبحثهم عن الشبهات لوصلوا لها منذ زمن بعيد.

وكذلك المؤمن أيضا الذي يعاني من هذه الشبهات فلو أنه بحث عن إجابات لها وبدأ بعد ذلك بتفسير فقط السور التي مستمر في ترديدها في كل صلاة وبدأ يبحث عن سبب نزولها لذهبت منه جميع الشكوك والشبهات.

الإنسان بحاجة شديدة للرجوع إلى دين الحق وهو الإسلام والبدء في دراسته وتعلمه واتباعه حتى يفهم سبب الوجود ويفهم الغاية من الوجود ويتعرف على من أوجد الوجود ويعلم ما هي أوامره ورسالته للإنسان.

والدين الإسلامي وحده فقط من يستطيع تقديم إجابات صحيحة لهذه الأسئلة.

.. انتهى ..

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

[سورة الحديد: ١٦]

الباب الثالث

.. آدم وحواء ..

في هذا الزمان أكثر أمراً متداولاً ومروجاً له هو الحب، الكل أصبح يتحدث عن الحب والكل أصبح يتباهى به والكل يتغنى ويكتب عنه، فأصبح الجميع محاصراً بقصصه وأغانيه وطقوسه المتجددة حتى أصبح كل شخص منا وكأنه مجبراً على ممارسة هذا الحب أو تجربته على الأقل! فما هو الحب وما هي حقيقته؟

على الرغم من أن إنسان هذا العصر لا يشغل باله الا قصص الحب والعاطفة وكل اهتماماته وتركيزه متمحورة حول السعي وراء هذا الحب إلا أن مشاكل الإنسان العاطفية مازالت تتفاقم يوما بعد يوم حتى وصلت إلى مراحل حرجة!!

فبدأنا نسمع عن اشخاص وصلو إلى مرحلة الادمان على هذا الحب!

بدأنا نسمع عن أشخاص يعانون من التعلق العاطفي!

وأشخاص مدمنين على العلاقات المتعددة!

وأشخاص آخرون مدمنين على الجنس!

وكل واحد منهم حالته أسوأ من الآخر!

ولكن السؤال هنا، هل هؤلاء الأشخاص هم ضحايا الحب؟

أم أن هذه ليست إلا مراحل ومستويات طبيعية يجب على كل محب أن يمر بها؟

ولماذا بدأت تنتشر عداوة شديدة بين الرجل والمرأة في الاونة الاخيرة؟ ماقصة هذه العداوة وكيف بدأت؟ هل سببها الحب ايضا ام شيئًا اخر؟

لطالما سمعنا أن الحب أقوى من أي شيء في هذه الدنيا، وأن الحب قادر على معالجة أمراضنا ومشاكلنا النفسية والروحية والجسدية وغيرها من الكلمات الوردية التي مستمر العالم في إلقائها علينا

فهل عالم الحب هو حقا ما يحتاج إليه الإنسان؟

عالم الحب أصبح فوضويا بشكلا غريب هذه الايام..

فكلمة الحب نفسها باتت مشوهة لم تعد تحتوي على أية صفات جميلة بل أصبحت مجرد كلمة ووسيلة تستخدم لتضيعة الوقت والوصول للمصالح الشخصية.

لم نعد نسمع قصص حب حقيقية كما كنا نسمع على الأقل في السابق كل ما نسمع عنه الآن هو قصص خيالية تُجَسَّد إما بألحان غنائية أو مشاهد تلفزيونية وكأن الحب في هذا الزمان أصبح فقط مادة للكتابة والتمثيل ولم يعد قابلا للتطبيق مرة أخرى!

فبالرغم من الانتشار الواسع لثقافة الحب والترويج له في الموسيقى والسينما الحديثة وغيرها من الوسائل الفنية إلا أن مشاكل الإنسان مع الحب مازالت مستمرة بل إنها تزداد سوءا يوما بعد يوم حتى بدأنا في الفترة الاخيرة نشاهد أرقام مرعبة في معدلات الطلاق والانفصالات والتفكك الأسري وغيرها من المشاكل الاجتماعية.

وكأن كل هذه المشاهد والألحان التي مستمر الإنسان في سماعها ومشاهدتها لم تزده إلا سوءا في حياته العاطفية، فلا هو تعلم دروس الحب من خلالها او حتى أخذ العبر من قصصها!!

ومن هنا يمكننا القول بأن معظم العلاقات في هذا الزمان هي ليست بعلاقات حب وليس لها أي صلة بالحب اساسا، بل هي علاقات عابرة بشكل أو آخر هدفها فقط التسلية وتضيعة الوقت والجنس في أكثر الاحيان. فالذي يحب هذه الأيام لا يريد أن ينهي علاقته وقصته الغرامية بالزواج، بل أصبح يريد أن ينهيها بأكملها حتى تتاح له فرصة أخرى للدخول في علاقة جديدة غيرها.

وهؤلاء الذين يعيشون بهذه الطريقة ليسو بالأشخاص المحظوظين كما يعتقد البعض، بل هم ضحايا لمرض جديد يسمى «الحب الحديث» هذا المرض الذي يمتص مشاعرهم وعواطفهم بشكلا مستمر حتى يتحول بعدها الإنسان إلى مخلوق مستهلك فارغا من المشاعر والاحاسيس ولم يعد قادرا على أي عطاء لحياته أو حياة غيره.

بل إن معظم علاقات الحب لهؤلاء الأشخاص في الحقيقة لم يكونها القدر كما يعتقدون، بل كونتها ظروفهم الحياتية القاسية التي يعيشونها مما أدى بهم إلى البحث عن أي طريقة أو وسيلة تخلصهم من معاناتهم وتخدر مشاكلهم اليومية حتى ولو على حساب تزييف مشاعرهم!

فهذه العلاقات الوهمية والعابرة التي يطلق فيها البصر وتهدر فيها المشاعر تتسبب في تداعيات سلبية على وقت الإنسان أولا ثم على صحته النفسية وأخيرا على علاقته المستقبلية (الزواج).

ولكن برأيي توجد قضية أكبر من قضية الحب نفسها الان وهي عداوة بدأت تنتشر بين الرجل والمرأة، فبدأنا نلاحظ عداء متنامياً بينهما حيث أصبح كل فرد ينظر إلى الآخر بعين الكراهية! فبدأ الاثنين يرفض الارتباط بل بدأو يرفضوا العيش مع بعضهم البعض في هذه الحياة <u>وكأن عداوة آدم وحواء مع إبليس تحولت إلى عداوة بين آدم وحواء فقط</u> كلاهما بدأ يستعيذ من الاخر .. وكلاهما بدأ يحقد على الآخر ×

عداوة تتحرر من خلالها المرأة ويصبح الرجل غير مهتم أو مكترث لها إطلاقا!

وهذه العداوة في الحقيقة نشأت منذ زمن قديم .. ففي سابق الزمان قبل مجيء دين الحق (الإسلام) كانت المرأة في بعض المجتمعات القديمة مضطهدة تعذب تباع تقتل وكانت في كثير من الأحيان تدفن بعد ولادتها مباشرة!

والسبب وراء ذلك يعود لبعض العقول البشرية التي كانت متحكمة بالمرأة والتي كانت تعاملها بطريقتها الخاصة دون اي منهج صريح وواضح يردع هذه العقول او يوجهها عالأقل.

فبسبب هذه الأحداث كلها خرجت المرأة عن صمتها وانفجرت بسبب هذه الأمور السابقة التي حدثت معها، ولكن الغريب في الأمر أن انفجارها وخروجها عن صمتها أتى متأخرا جدا بعد آلاف السنين! والأغرب من ذلك كله أنه أتى بعد وصول المنهج السماوي والأخير لهذا العالم الذي أعطى كل الناس حقوقها بكل عدل.

ولكن بعض النساء لم تعجب بهذه الحقوق فبدأت ترفضها بأكملها ومن ثم بدأت تطلب حقوقها من العالم غير الحقوق الذي أعطاها إياها خالقها! وفي هذه اللحظة خرجت لها تلك العقول البشرية مجددا واستجابو لها بكل رحب، ومن هنا بدأت قصة العداوة..

فالعقول البشرية نفسها التي كانت مضطهدة المرأة في السابق وكانت تبيعها وتعذبها وتقتلها وتدفنها بالتراب في مهدها عادت مجددا لتصحح جميع اخطاءها، عادت لتعطي المرأة قيمتها الحقيقية وتساهم في جعلها حرة مستقلة وتعطيها حقوقها الكاملة التي هي نفسها من سلبها منها في سابق الزمان!!

فماذا فعلت تلك العقول البشرية هذه المرة؟ وما هي الحقوق التي أعطتها للمرأة؟

بدأت بعض العقول البشرية المشرعة الجديدة للمرأة في زرع الفتنة داخل بيتها، بدأت في تضليل أفكارها تجاه نفسها أولا ثم تجاه زوجها وعائلتها، بدأت تقنعها بأن غريزتها للأمومة وتربية الأبناء وصناعة الإنسان ليست بالهدف السمي الذي يجب أن تحلم به فالزمان تغير الان وعلى المرأة أن تتغير حتى ولو اضطرت بتزييف رغباتها الحقيقية!

شرعت العقول البشرية الحوار مع المرأة حول سبب تدهور قيمتها وعدم حصولها على الاستحقاق اللازم وعن القصص التي حدثت معها في السابق وأن الحل الأمثل الذي تستطيع القيام به هو ثورة وحركة تمردية على الجميع دون أي استثناء.

نجحت تلك العقول بإقناعها ومن ثم قالوا لها بأنه حان الوقت لتظهر للعالم من هي المرأة مع ملاحظة صغيرة مهمة جدا وهي أن هذا الظهور يجب أن يكون لافتا للأنظار! سمعت المرأة الاوامر وطبقت الملاحظة جيدا وبدأت بعدها تظهر للعالم بلباسا يقصر طوله وينقص ستره يوما بعد يوم!!

فجأة بدأ العالم بالفعل يهتم ويتعاطف مع المرأة ويهتف لاسمها وكأن ظهورها الأخير غير كل شيء!!

ولكن في الحقيقة هي أن بظهورها الأخير لم يرى العالم المرأة كإنسانة ومخلوق طبيعي لديه قلب وعقل ومشاعر مثل الاخرين، بل رأوا شيئا آخر كليا، شيئا لا علاقة له بالإنسانية ولا حتى بالمرأة نفسها!

عادت العقول البشرية المشرعة للمرأة مرة اخرى بأوامر ومهام جديدة وهي إرغام المرأة بالاستمرار في الظهور للعالم وإلفات أنظارهم أكثر فاكثر حتى لا تنطفئ شعلة التعاطف والاهتمام التي بدرت منهم!

بدأت تلك العقول بإقناعها بأن قيمتها الحقيقية الآن تكمن في جسدها وشكلها الخارجي وحينها بدأت المرأة في الاهتمام بجسدها وشكلها الخارجي بشكل جنوني وبدأت تجري بعض التصحيحات والعمليات التجميلية اللازمة وغير اللازمة خوفا على فقدان قيمتها!

انتقلت هذه العقول البشرية بعد ذلك في إدخال المرأة الى عالم الموضة والهائها بالصيحات المتجددة واصبح تركيز المرأة بعد ذلك كله يذهب للشهرة والاستعراض وكسب اكبر قدر ممكن من الاهتمام والتعاطف ومن ضمن هذه المجالات التي أدخلت بها هي مجال «الإباحية» وحينها بدأ تصوير المرأة بشكل عاري تماما كنوع من أنواع الاستعراض الحديث، فاللباس الذي كان يقصر طوله وينقص ستره يوما بعد يوم قد وصل لمرحلته الاخيرة وهي خلع هذه الملابس بأكملها!

بدأ بعد ذلك تصوير المرأة مع الرجل بعض المشاهد الجنسية تحت مسمى تعليم ونشر الوعي بين الشباب والشابات وأن هذا العمل يعتبر عملا خيريا وسوف يساعد العديد من الناس خصوصا لمن هم مقبلين على الزواج وسوف تُشكر على هذا الفعل.

انطلقت المرأة بعدها لتصور ممارسات جنسية عنيفة جدا تدنس من خلالها كرامتها وتقتل أنوثتها وحياءها وتمحي صورة الإنسانية منها وهذه المشاهد تم عملها تحت مسمى «تمثيل» فأقنعتها تلك العقول البشرية مجددا بأن هذه المشاهد لن تؤثر على نفسيتها وحياتها اطلاقا فعملها هذا ليس إلا عمل سينمائي شريف!

بدأت المرأة تشعر بالأذى وعدم رضا الذات بما تفعله وبما يجري معها وبدأت العديد من النساء تستيقظ من غفلتها واستيعاب الأفعال التي أجبرتها بعض العقول البشرية على فعلها طوال سنوات حياتها وهذا الاستيقاظ حدث معه مشاكل نفسية مزمنة! استمرت معاناة النساء حتى قرر بعضهم في نهاية المطاف بقتل أنفسهم والسبب يعود إلى اكتشافهم المتأخر بأنهم لم يستعيدوا قيمتهم بل فقدوها وفقدوا حياتهم بأكملها لصالح تلك العقول البشرية التي اصبحت تتاجر بهم!

وللأسف أرقام هؤلاء الضحايا في تزايد مستمر نظرًا للحاجة الفطرية لدى الإنسان إلى اتباع منهج أو نظام في حياته فبالتالي المرأة مجبرة على اتخاذ قرار لمسار حياتها وفي الحقيقة لا يوجد امامها الا خيارين اما اتباع منهج ربها او اتباع تلك المناهج البشرية الاخرى ومع الاسف مجددا لا تزال المرأة تعتقد إلى الآن بأن رفضها لمنهج ربها واتباع تلك المناهج البشرية المختلفة سوف يجعلها تكسب حريتها.

ولكن ماذا عن المنهج السماوي الذي رفضته بعض النساء؟ المنهج الذي أتى من صانع المرأة وخالقها وخالق العالم بأكمله، ماذا اختار لها خالقها؟

حفظ قيمتها كإنسانة أولا ثم كمسلمة ثانيا، جعل قيمتها تكمن في إيمانها وعلمها وحيائها وتربية أولادها، سهل عليها أمور دينها بالكامل أكثر من الرجل ومع ذلك جعل أجرها متساوياً مع أجر الرجل، سقط عنها تكاليف كثيرة ووضع حقوق لها لا عليها، أمرها بالتستر والاحتشام وعدم إبداء زينتها وذلك أزكى لها.

أعطاها مهمة أساسية واحدة بعيدا عن مهام الرجل الشاقة الذي وكله الله فيها، وهذه المهمة هي فقط تلبية رغبتها وغريزتها الحقيقية وهي الامومة ولكن تلبيتها بالشكل الصحيح من خلال تربية أبنائها على أفضل وجه وصناعة أجيالا عظيمة تعمر هذه الارض وتكون هي السبب في بناء هذه الأرض وازدهارها.

وكما أن للمرأة حقوق في الإسلام كذلك للرجل حقوق ايضا فكلاهما أخذ حقه ونصيبه في هذه الدنيا.

فهذا المنهج السماوي لم ينزل إلا بحكمة خالق حكيم وخبير لا بحكمة مخلوق يسعى لتحقيق مصالحه!!

وأي تقصير يبدر من الرجل أو المرأة في أداء هذه الحقوق والأمانات والمهام فهم محاسبون أمام ربهم سواء .. فالرجل والمرأة صحيح أنهم مختلفون في مهامهم في الدنيا ولكنهم متساوون بالأجر في الآخرة.

.. انتهى ..

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾
[النساء: ١٢٤]

الباب الرابع
والأخير

.. من أنا؟ ..

سؤال كنت أطرحه على نفسي سابقا في كل مرة أرتكب فيها خطأ، في كل مرة أرتكب فيها معصية أو ذنب تبت منه في السابق وفي كل مرة كنت أعود فيها إلى العادات والسلوكيات السيئة التي سبق وتخلصت منها!

كثيرة المرات التي سألت فيها نفسي هذا السؤال، وكلما حاولت الإجابة عليه أجد نفسي غارقا بالأخطاء والذنوب مجددا!!

في أحد الأيام قررت الإقلاع عن بعض العادات السيئة التي نشأت لدي منذ الصغر والسبب الذي جعلني أتخذ هذا القرار هو تقدمي السريع في العمر إذ بدأت ألاحظ أن السنة في توقيتي أصبحت كالشهر، والشهر أصبح كالأسبوع والأسبوع أصبح كاليوم وأدركت ذلك بعدما شاهدت زيادة كبيرة في المسؤوليات الملقاة على عاتقي والتغيرات العديدة التي تحدث في هذا العالم، فكان يجب علي أن أبدأ بصنع شخصية منضبطة تتناسب مع هذه المسؤوليات وتستطيع أيضا العيش مع هذا العالم المتجدد، فبدأت حينها القيام ببعض الإصلاحات والتحسينات على شخصيتي وحياتي بالأكمل.

كنت أتخيل في البداية أن التغيير سيكون أمرًا سهلاً يمكن تحقيقه في ليلة واحدة أو ربما ليلتين، ولكن سرعان ما تحولت هذه الآمال إلى صراع وحرب استمرت لسنوات وسنوات!!

ففي كل مرة كنت أصلح فيها أمرا أخطأ بعدها مباشرة...

وفي كل مرة كنت أتوب فيها أعصي بعدها فورا دون أي تردد...

كل إصلاح كان يتبعه خطأ! .. وكل توبة كانت تلحقها معصية!

الوقت بدأ يمضي وينفذ بشكلا أسرع من السابق وأنا لا زلت مستمرا في التقدم خطوة واحدة إلى الامام ومن ثم التراجع بعدها خطوات للوراء! فلا شيء كان يتغير ولا شيء كان يحدث إطلاقا.

فبدأت اتساءل حينها : هل يعيش الإنسان طوال فترات حياته فقط حتى يتغير ويحسّن من نفسه؟ أم أن هنالك هدف وغاية حقيقية يسعى لتحقيقها؟ وماهي تلك الغاية التي يطمح الإنسان أن يصل لها طوال فترة عمره؟

واذا كان لايوجد إلا غاية واحدة في هذه الحياة فالإشكالية التي تطرح نفسها هي: لماذا هناك تفاوت واختلاف كبير في أعمارنا إذا كان الجميع حقاً يسعى لنفس الغاية؟

من أنا؟ وماهي غايتي؟

الكثير منا لديه شكوك حول سبب خلقه وحول هدفه وغايته من الحياة في حين أن الآيات السماوية أكدت لنا بأن سبب خلق الإنسان والغاية الحقيقية منه هي العبادة المطلقة لله الواحد الأحد، ولكن لا يزال الإنسان تائهاً في طريقه في هذه الحياة فلا يعلم لماذا يعيش سنوات محددة في حياته.

لماذا يعيش ٤٠ سنة أو ٥٠ سنة أو أي مدة كانت ثم يموت!! لماذا هذه المدة تحديدا؟ ولماذا لم يكن عمر الإنسان واحدًا بحيث كل البشرية تموت في سن معين وتنتهي قصة هذا المخلوق!

فمثلا نرى أطفالا يفارقون الحياة بعد ولادتهم مباشرة، ونرى أيضا أشخاصا تموت بعد مرور سنة واحدة فقط من حياتهم ومنهم من يموت في سن شبابه وآخرين استطاعوا الوصول إلى أرذل العمر!

وهذا الأمر يؤكد لنا بأن بجانب غايتنا الكبرى والأساسية وهي عبادة الله وحده، هناك بعض الرسائل والمهام التي خُلِقَ الإنسان أيضًا من أجل تحقيقها وبحكمة من ربه تم اختيار فترة زمنية محددة يمكن للإنسان من خلالها أن ينجزها، فمنا من مهمته طلب العلم من أوسع أبوابه والمساهمة في نشره وتعليمه ومنا من مهمته تربية أولاد صالحين سوف ينفعو العالم في المستقبل، وآخرين مهمتهم تقديم اختراعات وتقنيات جديدة ستفيد البشرية وتسهل حياتهم وغيرها من المهام التي إذا نجح الإنسان في تحقيقها بطريقة ترضي خالقه فإنها ترفعه درجة في الدنيا ودرجات في الآخرة.

ولا يوجد أي شخص يموت في هذه الدنيا دون أن يوصل رسالته أو يحقق أهدافه بجانب غايته وإن حدث ذلك فهذا إما بسبب تقصيره وانشغاله عن مهامه وأهدافه أو أنه اختار المهام والأهداف الخطأ ولم تكن أهدافه الحقيقية من الأساس. فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الحياة بعبثية كما يدعي البعض بل خلقها بحكمة ودقة ولغاية واضحة تجعل لكل إنسان هدف واضح يجري خلفه، حتى الطفل الصغير او المولود الذي توفاه الله قبل أن يرى الحياة أعطاه الله هدفا واضحا ومهمة محددة وهو بأن يموت بين يدي والديه حتى يكون رحمة وأجرا لهما وأن يكون شفيعا لهما بإذن الله يوم القيامة...

فإذا هذا المولود الصغير أكمل مهمته في الحياة قبل أن يرى ضوء الشمس فماذا عن الإنسان العاقل الذي لا يزال حياً ومستمراً في الاستيقاظ كل يوم؟

كل إنسان يحمل في داخله رغباتٍ وأهدافًا حقيقية يرغب في تحقيقها ولكن دائما ما تعيقه رغباته المزيفة ونتيجة لذلك أصبح الإنسان في هذه الحياة لا يعلم فقط ما هي رغبته وأهدافه الحقيقية بل أصبح لا يعلم من هو أصلا؟

وأحد الأسباب التي جعلت الإنسان يفقد الاتصال بذاته ويسعى لاكتشاف أهدافه ورغباته الحقيقية هي انشغاله المستمر واللاوعي عنها, ففي ظل هذه الحياة المزدحمة والمليئة بالملهيات والمشتتات المتجددة أصبح إنسان هذا العصر مدمن على إضاعة الوقت ومدمن على تجاهل مسؤولياته ومهامه اليومية فكيف من الممكن أن يتفرغ أصلا لاكتشاف نفسه وأهدافه وسط هذا الازدحام كله!

فالوقت أصبح أحد أعداء الإنسان في هذا العصر إذ يسعى الإنسان جاهدًا بشكل مستمر لجعل أيامه تمر بسرعة بأي طريقة ممكنة حتى يصل إلى أيامه الجديدة دون أن يدرك أن أيامه الجديدة هي ليست إلا تكرارا لأيام مضت في السابق!

وتستمر هذه الحلقة مع الانسان حتى يصل إلى أواخر عمره دون أن يشعر كيف وصل إلى هنا وماذا حقق وماذا أنجز؟

فالقضية ليست طيلة عمر، القضية هي معرفة الغاية الوجودية قبل انقضاء هذا العمر.

وطيلة العمر بالتأكيد نعمة كبيرة إذا تم استثمارها في طاعة الله والعمل الصالح، فهذا يمنح الإنسان الفرصة لتحقيق النجاح والسعادة في الدنيا والآخرة، أما إذا أسرف الإنسان واستهان بوقته وأضاع عمره كله بعيدا عن ربه فبذلك تتحول هذه النعمة إلى نقمة في دنياه وتصبح حجة عليه يوم القيامة.

والله سبحانه وتعالى بحكمته يزيد في عمر عباده ليبتلي ويختبر إيمانهم وصبرهم وبرحمته الواسعة أيضا يمد بعمر الكافرين الذين كفروا وأشركوا به ويمنحهم أكثر من فرصة لمراجعة أنفسهم والبحث عن السبب الحقيقي لغاية خلقهم ووجودهم في هذه الحياة.

وكثير منا من رأى ناس حاربوا الله وعصوه ومع ذلك أعطاهم الرحمن طيلة العمر فمنهم من عاش ٧٠ عاما ومنهم من وصل ل ٨٠ من عمره ومنهم من استطاعه برحمة ربه أن يصل إلى أبعد من تلك الأرقام ومع ذلك لا أحد منهم عادا النظر إلى حياته وإلى نفسه، استمروا في كفرهم حتى قبض الله أرواحهم.

إن حياة الإنسان في الحقيقة ليست إلا سلسلة مستمرة من الامتحانات التي يمتحن بها ولكل إنسان ورقة امتحان تختلف أسئلتها عن الإنسان الآخر، فمنا من يمتحن بالمرض ومنا من يمتحن بالعافية ومنا من يمتحن بالغنى ومنا من يمتحن بالفقر وغيرها من الامتحانات التي لن تظهر نتائجها إلا بعد الموت.

فالله سبحانه وتعالى يمتحن عباده بامتحانات مختلفة لحكمة هو يعلمها وبحسب الزمان والمكان الذي يعيش فيه الانسان، فمثلا في العصور السابقة امتحن الله عباده المؤمنين في الخروج إلى ساحات المعارك والمشاركة في الجهاد بأرواحهم وأجسادهم لنصرة الإسلام والمسلمين.

أما إنسان هذا العصر فامتحنه الله بجهاد أكبر وهو جهاد النفس والذي يعد الخطوة الأولى والأساسية نحو تحقيق النصر للإسلام والمسلمين.

فجهاد النفس هو الجهاد الذي فرضه الله علينا جميعا، جهاد أداء الصلوات في المساجد في زمن كثرت فيه الملهيات، جهاد قراءة القرآن وسماعه في زمن كثرت فيه الأغاني، جهاد غض البصر في زمن التعري جهاد فهم علوم الدين والتعمق فيها في زمن كثرت فيه المشتات وغيرها من الجهادات والحروب الكثيرة التي تدار في ساحة معركة واحدة فقط وهي رأس الإنسان.

والإنسان إذا غفل عن هذه المعارك والحروب المصيرية وتخلى عن أداء واجباتها فحتما سوف يضيع في هذه الدنيا ويصبح مهزوما تائها فيها لعدم امتلاكه عقيدة حقيقية يحتمي بها!

فالمجاهدة المستمرة أمر ضروري وعلى المؤمن تجديد إيمانه وتوبته يوميًا نظرًا لأن الإيمان بطبيعته متقلب حيث من الممكن أن يزداد أو ينقص أو حتى يتلاشى ويختفي في أي لحظة وكأنه لم يكن حاضرا في القلب من قبل.

ومن الأمور التي تساعد المؤمن في الحفاظ على إيمانه وزيادته هي أذكار الصباح والمساء، القراءة اليومية للقرآن، أداء الصلاة في أوقاتها ، التدبر والتفكر، ذكر الله وغيرها من العبادات .. والأمر الآخر هو أن هذه العبادات لا تسهم فقط في الحفاظ على إيمان المؤمن، بل إنها سوف تحفظ وقته وحياته أيضا.

فمثلا قراءة أذكار الصباح والمساء والمداومة عليها والعمل بها يمنح الإنسان شعورا بأنه مستعدا تماما لهذا اليوم الذي سوف يحيي فيه وكأن قدوة البشرية محمد صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن هنالك فترتين في اليوم الواحد، اليوم ليس مكوناً فقط من ساعات قصيرة سوف ينتهي منها الإنسان على نحو عشوائي ثم يذهب لليوم الذي يليه .. اليوم الواحد مكون من فترتين كاملتين (فترة صباح وفترة مساء) بإستطاع الإنسان الإنجاز العديد والكثير من خلالها إذا استعد لها.

وبمثل هذه الأعمال الصغيرة إذا داوم عليها المؤمن فإنه ينجو خلال يومه بعد توكله على الله ويزداد قربه منه يوما بعد يوم وبذلك يصبح المؤمن مؤمنا ويمسي مؤمنا بإذن لله.

.. انتهى ..

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٤٢]

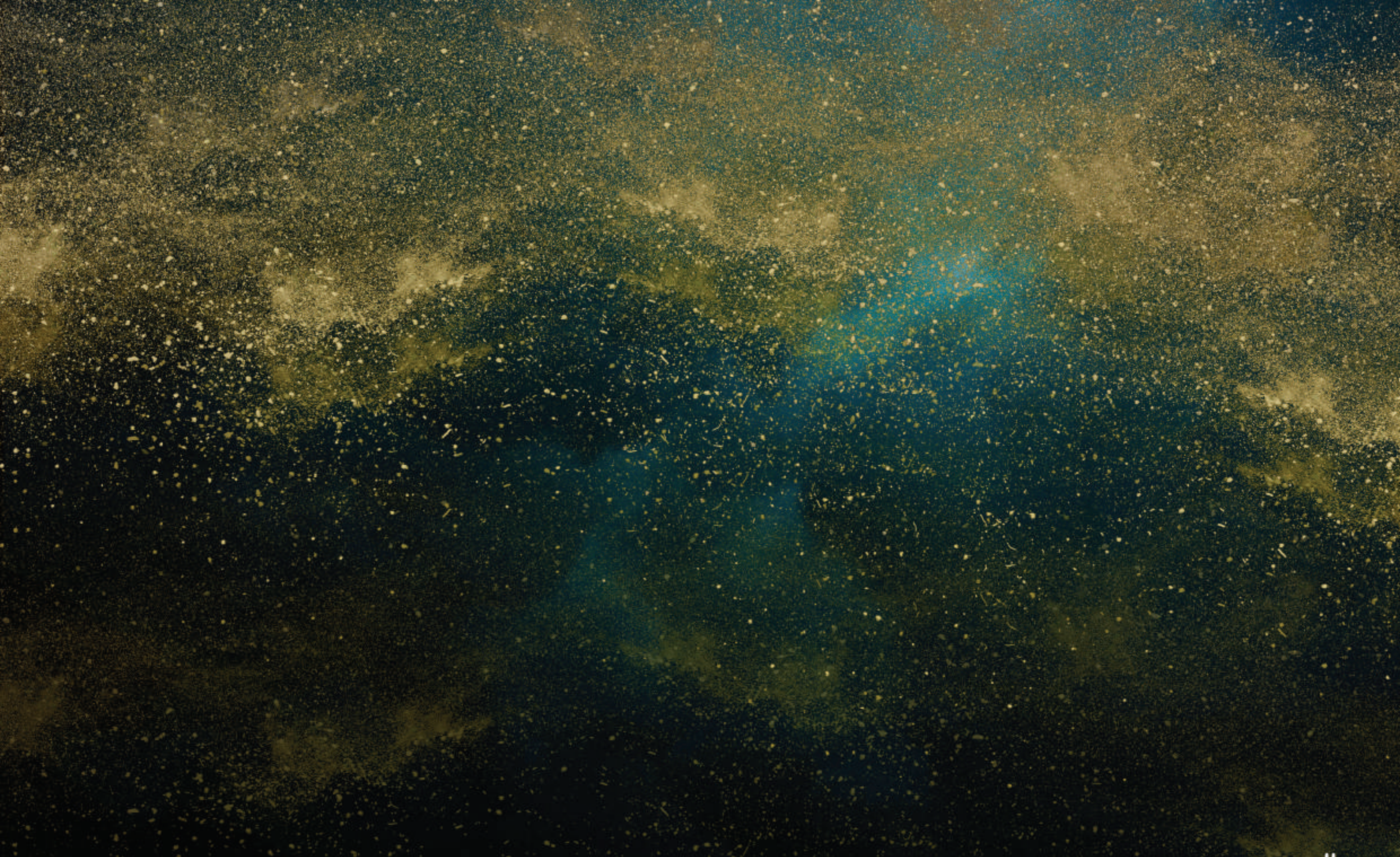

"فكما أتى الإنسان من عدم وغيب إلى هذه الحياة بشكل غامض كذلك سوف يذهب إلى عدم وغيب جديد عند موته وهذا العدم والغيب الجديد لا بد من أن يكون حياة جديدة أخرى."

زاهر
zaher9w@gmail.com